

# **خمس سنوات على رحيل طاحت حمدي المبدع المتعدد والإنسان الجميل والمنتمي حتى النخاع غادر وفي قلبه غصة**

وائل العدس

A close-up portrait of a man with dark hair and a prominent mustache. He is smiling broadly, showing his teeth. He is wearing a dark suit jacket over a white shirt and a green and yellow striped tie. The background is a blurred, colorful scene of what appears to be foliage or trees.

- (٢٠١٠) تأليف قمر الزمان علوش وإخراج كليوباترا.
- (٢٠١١) تأليف أحمد اليساري والحسن والحسين وإخراج عبد الباري أبو الخير.
- (٢٠١٢) تأليف محمود سعد الدين وإخراج الشبيهة فراس دهني.
- ومن المسلسلات التي ألفها: مسلسل «خوخ ورمان» الذي أخرجه بنفسه، إضافة إلى «شاري الهم» وتل اللوز» و«طرابيش» و«المستجير».

أعمال الدرامية تذكر أهمها:

- دو لا ب (١٩٧٢) تأليف أحمد قبلاوي وإخراج غسان بيري.
- مر العدون (١٩٧٥) تأليف خالد حمدي وعبد العزيز هلال وإخراج صلاح أبو هنود.
- سيسيف (١٩٧٧) تأليف خالد حمدي وإخراج علاء دين كوكش.
- خلف الجدران (١٩٩٥) تأليف هاني السعدي وإخراج سالم الكردي.
- سالم القوشة: أمناء المغيرة - تأليف ديلان من

سینمائيا

كان الفنان الراحل مملاً في الفن السابع نوعاً ما حيث لا يتجاوز عدد أفلامه السينمائية عشرة أفلام نذكر منها: «لست مستترة» (١٩٦٨) تأليف محمد مصطفى سامي وإخراج حسن الإمام، «واحد + واحد» (١٩٧١) تأليف فارس يواكيم ونهاد قلعي وإخراج يوسف معلوف، «مقبل بب» (١٩٧٢) تأليف أحمد ثروت إخراج يوسف معلوف.

الرايعة الحسناء (١٩٧٦) إخراج عاطف سالم، الحب الحرام (١٩٧٦) تأليف عبد الحي أديب وإخراج خالد حمادة، أحلام المدينة (١٩٨٤) تأليف وإخراج محمد ملص، الرسالة الأخيرة (٢٠٠٠) تأليف قمر الزمان علوش وإخراج باسل الخطيب.

دمشق يا بسمة الحزن (٢٠٠٧) تأليف أفت أدلبي وإخراج ماهر كدو، حسيبة (٢٠٠٨) تأليف خيري الذهبي وإخراج ريمون بطرس.

طوبوي (١٩٩٨) تأليف قمر الزمان علوش وإخراج باسل الخطيب.

سأء صغيرات (١٩٩٩) تأليف نجيب نصير وحسن سامي يوسف وإخراج شامل أميرالاي وباسل خطيب.

لوحة السوداء تأليف يوسف قندلفت وإخراج محمد بدوس أنساني (٢٠٠١).

شودة المطر (٢٠٠٣) تأليف إلياس الحاج وإخراج باسل الخطيب.

سرقات (٢٠٠٣) من تأليف إيمان مارديني وإخراج حمد الشيلان.

بل الأسرار (٢٠٠٤) تأليف نبيل ملحم وإخراج دننان إبراهيم.

زار قباني (٢٠٠٥) تأليف قمر الزمان علوش وإخراج باسل الخطيب.

بهارب (٢٠٠٥) تأليف عبد الرحمن ونبيل بشير وإخراج إسماعيل آغا.

زن الماعز (٢٠٠٦) تأليف غسان الجباعي وإخراج للال محمود.

مسرحيات

حاول حمدي خلق حالة مسرحية مختلفة ومميزة عن كل الخشبات تحت مسمى مسرح القهوة، ومن مسرحياته «بانتظار عبد الفتاح» و«أول فواكه الشام يا فانتوم» و«الحادي يتكلّم». كما كان للفنان الراحل الفضل في إخراج العديد من مسرحيات محمود جبر.

من مرسى (٢٠١٣) سين سليمان وبروج  
حمد فردوس أتاسي.  
سراع على الرمال (٢٠٠٨) تأليف هاني السعدي  
إخراج حاتم علي.  
شام العدية (٢٠٠٩) تأليف مروان قاووق وإخراج  
باد نحاس.  
ال القدس (٢٠١٠) تأليف وإخراج باسل الخطيب.

A close-up photograph of a woman with short, reddish-brown hair and a white headscarf with black floral patterns. She is smiling warmly at the camera. To her right, a man with dark hair and a prominent mustache is looking towards her with a slight smile. The background is dark and out of focus.

# فسيفساء الأموي قداسة المكان وقدسية الفن

لوئنية وصلت إلى تسعه وعشرين لوناً في اللوحة الواحدة، منها ثلاث عشرة درجة من اللون الأخضر فحسب، وقد وظفوا تلك الألوان في أوصاف الجنان من أنهار وأشجار وقصور مع زخارف وكتابات غایة في الحسن والدقة والصنعة، وقد غطت هذه الأعمال جدران الأموي وآروقتها لدرجة جعلت منه أحجوبة الدنيا وقتنة الناظرين وزينوا الجدار القبلي (الجنوبي) لحرم الأموي بكتابات لآيات وسور من القرآن الكريم رصفت بخصوص مذهبة لازوردية، كما زين فوق المحراب بمناظر الكعبة ومكة المكرمة، وإلى جانبها أشجار الكرمة والعنب، بأوراقها وعناقها، وكانت غایة في الإبداع وفي ذلك قوله الشاعر:

لتزيين قصورهم ودورهم، وكان أروع ما  
قاموا به تزيين الجامع الأموي بشكل لم  
سبق له مثيل، فكان أحد روائع تراثنا  
الحضاري.

كان الصناع الذين استخدمهم الأمويون  
في أعمال الفسيفساء من أبناء بلاد الشام  
الذين مهروا بهذا العمل وتوارثوه عن  
جدادهم، وباعمالهم اشتهرت اليونان  
والروماني وبيزنطة يوم كانت بلاد الشام  
تحت حكمهم.

وهو من حرث من المكانتي كان فيها بناء الأموي كانت سود فيها العلاقات السيئة بين الرومان.

إذا تفكرت في الغصون وما فيها، تيقنت حدق واضعها.

أشجارها لا تزال مثمرة،  
لا ترهب الريح في مدافعها

كأنها من زمرد غرسٍ،  
في أرض تبر تعشي بفاقعها

فيها ثمار، تخالها ينعت،  
وليس يخشى فساد يانعها

تقطف باللحظ لا بجارة،  
الأيدي، ولا تجني لبائعها.

## خصائص الفسيفساء

عمال الفسيفساء في زمن الأمويين  
من تقنية وتعبيرية وتشكيلية  
مطبوعة بالطابع الإسلامي الأمر  
 يجعلها ترتبط بالبيئة والمعتقد  
لكونها تتشكل انعكاساً جمالياً  
في صدر الصانع من تكوين  
 يريد للحياة، بما كان عليه أولئك  
من مهارة فائقة أعطت درجات

A close-up photograph of the Hagia Sophia's facade, focusing on the upper section. The building features intricate tilework in shades of green, gold, and brown, with arched windows and decorative elements. The sky is clear and blue.

الإنسان، تلا ذلك كسوة هذه الجدران  
الفسيفسae، كما جعل أعمدته من الرخام  
الموشى، ومعاقد روؤوس هذه الأعمدة  
هباً، ودور سقفه كله ذهبأً، وجعل  
حرابه مذهبأً مرصعاً بالجواهر. وبلغ  
عدد نوافذ الزجاج المعشق أربعاء وسبعين  
نافذة. فضلاً عن مجامر البخور التي  
كانت روائحها تصل إلى بعد فرسخين عن  
لجامع.

**التعريف بالفسيفساء**  
لفسيفساء مكعبات صغيرة من الزجاج  
و الحجر الملون، كانت تكتسي بها أرض  
بجدران المعابد والقصور اليونانية

منہ کاں

عندما بنى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك الجامع الأموي سنة ٧٠٥ م، وكانت الدولة الأموية إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس، وكانت دمشق في أوج عصرها الذهبي أراد الوليد أن يكون هذا الجامع في فخamته بما يتناسب مع هذه الإمبراطورية، وأن يكون أفخم مساجد

استغرق البناء عشر سنين، حُشد خاللها  
عدد هائل من مهرة البنائين والمعماريين  
والنجارين والمرخجين. من بلاد الشام  
وببلاد فارس والمغرب. وقد أتفق الوليد في  
ذلك أمواياً طائلة، حتى قيل إن الوليد بدد  
بيت مال المسلمين. فلما بلغ الوليد ذلك،  
جَمِعَ النَّاسُ وَبَيْنَهُمْ أَنَّ بَيْتَ الْمَالِ فِيهِ مِنْ  
الْأَمْوَالِ مَا يَكْفِي سِبْعَ سَنِينَ مُقْبَلَةً، لَوْلَمْ  
يُرِدْ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ دِينَارٌ وَاحِدٌ.  
ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:

يا أهل دمشق إلكم تفخرون على الناس  
بأربع خصال، تفخرون: بهواكم ومائكم  
وغضونكم وفاكهتم، فاحببتن أن يكون  
مسجدكم هذا الخامسة.

وهكذا فإن الوليد لم يضن على كسوة  
الجامع الأموي وتزويقه وزخرفته.  
لقد جعل أرضه مكسوة بالرخام، وقيل  
بالخسيس الحجرية، وجعل حيطانه  
مكسوة بالرخام المجزع إلى ارتفاع قامتي

66 | örtlü

جمال عبد الناصر والتعليم

عندما أستذكر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر مع قضية التعليم، ففي القلب غصة، وفي الروح نشوة عارمة، أما الغصة فتتمثل في أن كثيرين في سوريا ومصر لم يكن لهم أن ينهلوا العلم، ولو بكميات قليلة لولا مجانية التعليم وقوانين الاستيعاب الجامعي، وكما نشهد اليوم عدداً كبيراً، بل أقول كل من يهاجم سوريا ونظامها نعم بقانون الاستيعاب الجامعي، ولم يكن ليحمل شهادة جامعية لولا نظرية الدولة التعليم وحق المواطن، وبعدهم أوفد وكف الدولة مبالغ طائلة حتى أنجز أحباذه، إن أنجز، وهو اليوم ينهش سوريا ويطلب تدخله عسكرياً، وقد يقول لك أنا درست وتعلمت وأوفدت، أو درست في المعاهد العسكرية على نفقة السوريين، وهذا كلام صحيح، لكن الدولة التي سنت القوانين هي التي أعطتك الفرصة للدراسة والمواصلة، وسوريا التي تطلب لها تدخلاً أممياً هي التي أعطتك، والسوريون الذين درست على حسابهم أنذتهم أفالين العذاب والقهر والذل!

المهم هذه الغصة دفعتني إليها الحرب التي شن على سوريا منذ سبع سنوات، وأنا أسمع من يتغاضح أو من يميل بلسانه بكلمة أجنبية، فهو ما شاء الله يتحدث لغة أخرى لم تكن له لولا سوريا ودولتها، وعبارة أدق نظمامها... أنا وأبناء جيلي لم يكن لنا أن ننهل العلم لولا ما أعطانا قانون الاستيعاب وقانون المجانية، فواحدنا بدأ من الأول الابتدائي إلى الجامعة ولم يتجاوز مجموع ما دفعه ثلاثة آلاف ليرة سورية، بل كان هناك ما يسمى التعاون والنشاط بمبلغ خمس ليارات سورية يتم صرفها على الأطفال المحتاجين، ويتم تأمين مستلزماتهم كافة...رأيتم الوفاء بلد آخر جك من أن تكون لصاً أو متسللاً لتصبح متفقاً؟ رأيتم لن حن إلى التسول فتخلى عن سوريا وفرصته؟ حتى أولئك الذين يتاجرون بالآلام السوريين في الداخل يطبق عليهم ما ينطبق على من تجده في الخارج... كلنا ناتجنا من مصر... تقدير طلاقاً

من يتحدث في المأذن، درست يديعot مع سوريا بفرقة حكوب...  
والغصة ذاتها تتوجه إلى التعليم عند الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فبعد أن كان التعليم مقصورةً على الموسرين، والجيش على أبناء الذوات، جاء الرئيس عبد الناصر ليشرع الأبواب لأبناء الشعب المصري لدخول الجامعات المدنية بعد أن كان الفقير لا يجد سوى الأزهر، ومنذ رحيله الصاعق والمفاجئ ١٩٧٠ انبرت الأقلام الحاذقة لهاجته، فلم يتربوا مثليه على مقاسه كانت أم لم تكن إلا وزرعوها في الرجل الذي كانت ابتسامته كافية لتعطير مياه النيل من منبعه إلى مصبه، ولن أعود إلى الكتب والمقالات فهي أكثر من أن تحصى في هذه الوقفة، فهذا وصفه بالطاغية وألف كتاباً في ذلك، وذلك انقلب، وثالث بدأ يتهم فيمن كتب الميثاق وسواد... وعندما رجعت إلى سيرة هؤلاء وجدتهم كلهم من أبناء الطبقات التي كانت محرومة من التعليم، وبعد الناصر ونظامه وطغيانه هو من درسهم! هو من أوفردهم! هو من تحمل عجزهم حتى وصلوا!  
في عهد عبد الناصر العظيم، إن اتفقت معه أم اختفت، صار الفقير يدخل القاهرة جامعة، وعين شمس وغيرها من الجامعات ذات التعليم المدنى، وفي عهده صارت الجامعات بعد المدن وأكثر، وفي عهده توسيع شريحة التعليم المعمق الحقيقي، وفي عهده صرنا نسمع بشكل جدى بأسماء النقاد والأعلام الذين كانوا، وفي عهده خصصت الجوائز، وفي عهده ازدهرت السينما وتتفوق المسرح، وفي عهده مجلة الطليعة وكتاب الجيب، وكتاب الشعب، وفي سلسلة لا نهاية من إنجازات العلم

وأفهم أن يعارضه الإخوان المسلمين بعدما عجزوا عن رکوب عهده وموجته وشعبيته، وأفهم أن يهاجمه أبناء النوات الذين وجدوا الفقير إلى جوارهم ويحصل على حقه من التعليم، لكن الذي لا يمكن فهمه هو الأعلم الأغلب غير المؤذجين الذين نالوا من عبد الناصر وشخصه! قد يكون لواحد منا مجموعة كبيرة من الملاحظ على عبد الناصر، خاصة من خلال النخبة الحاكمة، وهذا أمر طبيعي وحق، ولكن الانصاف يقتضي أن يتحدث الإنسان عن أي عهد بما له وما عليه، وأنطن أن ما قدمه للثقافة والتعليم يفوق التصور، لهذا ليس من حق أحد أن يتناوله بصورة غير علمية.

مشروع الرئيس جمال عبد الناصر أيها السادة كان مشروعًا سياسياً ثقافياً، فهو وبكل فخر أول من نادى بالقومية العربية في مصر، وهو أول حاكم عربي لمصر، وإن لم يكن عبد الناصر صاحب نظرية سياسية مؤدلجة مكتملة، فإنه صاحب رؤية قومية طازجة كان من الممكن أن تتطور أكثر لتصبح نظرية لو أسعف القمر بذلك، وقد غلب هذا المشهد السياسي برؤية ثقافية وعلمية متكاملة لتشكيل

حامِل مصر والعروبة، وليس حامِل الفكر الناصري... ولم يتوقف الأمر عند مصر، فعبد الناصر مع السوريين أُسهم في حركة التعرّيف والتعليم في الجزائر، وأُسهم في النهضة في منطقة الخليج عندما كانت تحتاج عوناً، وكل ذلك على حساب الدولة المصرية! أما في سوريا الخاصة عند الرئيس الراحل فالأمر مختلف، وأستطيع أن أتحدث عن العلوم الإنسانية التي أعرفها فكل أستاذتنا الكبار الذين يشار إليهم وإلى علمهم درسوا في القاهرة والإسكندرية في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، وقد قسم هؤلاء أقساماً فمنهم من قصد مصر ببعثات بعد الإعدادية ليتم تعليمه حتى الدكتوراه، ومنه بعد الثانوية، والعدد الأكبر بعد الحصول على الإجازة، وكل هؤلاء درسوا في مصر العربية وبرعاية الرئيس عبد الناصر، وعندما اختلف عدد حول أول من عاد يحمل الدكتوراه كان الدكتور شكري فيصل الذي درس في القاهرة... النسبة الكبرى من الأساتذة العلماء درسوا في القاهرة قبل أن تفتتح الدراسات العليا في جامعتنا، وقبل أن توجه بعثاتنا إلى أوروبا، لعلماً أن البعثات إلى أوروبا كانت قبل القاهرة أيضاً ومنذ الحرب العالمية الأولى، لكن الذي دفع إلى هذا الحديث ما أسمعه من بعض الأساتذة عن انتقادات كذلك لعهد عبد الناصر، وهم الذين درسوا في القاهرة، ويسبّب من منحه وبعثاته، بل طبعوا كتبهم في القاهرة وفي ذلك الوقت

البعيدة.

لا تذهب من الخاطر تلك الصورة القريبة البعيدة، ففي حلب العظيمة، عادت أيامها أجمل، قصدت أستاذاني الدكتور الراحل نعيم اليافي في بيته في محطة بغداد، وتقابله في صدر المكتبة صورة للرئيس جمال عبد الناصر وهو يصافح اليافي ويقدم له شهادته الجامعية، وحين سأله قال: كان جمال عبد الناصر يسلم الشهادات بنفسه، وربما كان اليافي من القلة الذين احتفظوا بهذه الصورة الذكرى.

لقد كان مشروع جمال عبد الناصر علمياً تعليميًّا ثقافياً تنويرياً، ومهما حاول بعضهم أن ينال منه فإنه لا بد أن يعود إلى ذاته ليستذكر شهادته أو شهادة والده، أو شهادة أحد أساتذته، ومن يزرع العلم فإنه لا بد أنه سيكون من الأهمية بمكان، ولا بد أن نباته بناء وطن وإنسان... ولو أردنا أن تكون منصفين فعلينا أن ننظر إلى توسيع الشريحة التعليمية والثقافية في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وكيف استطاع أن يوصل العلم إلى أبعد القرى والغيطان لإيمانه بالعلم وأهميته، وليس كما يدعى المؤيدون لنزع الفلاح من أرضه وغيطانه... ووصلت مصر إلى درجة عليا من تجاوز الأممية التي ذبحت المجتمع ودمنته، وكذلك الأمر في سوريا، فقد احتفلت سوريا قبل أكثر من عقدين من الزمن بانتهاء الأمية فيها، وصارت سوريا تباهي بأن نسبة التعليم فيها عليا، وأن الأممية تقرب من الصفر... واليوم ولدوا في سلطوية داخلية وخارجية أعادت الحرب على سوريا سوريا إلى الوراء، وبعد أن انتهت الأممية عدنا لنجد أن عدداً لا يستهان به من الطلبة في عهد التعليم قد فقروا فرصة التعليم، وهذا هم يرثون شعار (حقي أن أتعلم)... إن المشروع الثقافي هو مشروع تنويري مستقبلي، ويؤدي إلى نهضة حتمية تراكمية، سواء كان هذا المشروع قادماً من نظامديمقراطي أم من نظام فردي، فهو مشروع حيوي وعظيم لا يقوم به إلا من أراد خير الإنسان والوطن.

رحم الله جمال عبد الناصر، وقد قدم مشروعه ثقافياً نادراً في تاريخنا العربي، ولم يكن له من شبيهه سوى المشروع السوري، وكل المشروعين أريد له أن يجهض، ولكن الإيمان بالثقافة يجعلنا نقول: إن هذا المشروع سينتفض ليكون أولاً.